

أفكار واضحة أمام مرحلة غامضة

صلاح خلف

تدخل الثورة الفلسطينية عامها التاسع بعد حرب تشرين ، بما خلقته من معطيات ايجابية ونتائج سياسية . وقفت الثورة الآن أمام اختيار صعب قد يبدو ، للوهلة الأولى ، أنه يشكل تناقضاً بين ما طرحته من استراتيجيات وبين ما هو مطروح عليها في ساحة الواقع ، الامر الذي قد يشيع حيرة عند أوساط كثيرة من الجماهير الفلسطينية والعربية المؤمنة بالثورة الفلسطينية طريقاً لتحرير فلسطين .

وهذه المقالة هي صياغة للأفكار التي طرحتها في عدة ندوات جماهيرية لتصور المرحلة المقبلة ، أردت بها التأكيد على أصالة هذه الثورة والتزامها بمبادئها والتحامها بالجماهير الفلسطينية والعربية :

لعله من المفيد أن ابادر الى القول ، وبلا مقدمات ، أننا نؤمن بأن الطريق الوحيد لتحرير كامل ترابنا الوطني الفلسطيني هي طريق حرب الشعب طويلة المدى . وعندما اطلقنا الرصاص الأولى في هذا الاتجاه عام ١٩٦٥ وابتدأنا مسيرتنا الثورية كانت هناك جيوش عربية ، وكانت هناك حدود . ومع ذلك ، فان حفنة من الرجال انطلقوا لافتتاح مرحلة جديدة من كفاح الشعب العربي الفلسطيني ، مؤمنين ، ومتجاوزين الشك الذي ثار حولهم ، بهم وبيندقيتهم ، وبإمكانية استمرار هذه البندقية .

ومن هنا ، فان حرب تشرين التي نشبت هذا العام لا تشكل انقلاباً في مفاهيمنا الثورية ، ولا تشكل بطلاناً لصحة الطريق الذي آمننا وما زلنا نؤمن بأنه الوحيد الموصل الى تحرير كامل ترابنا الفلسطيني .

لقد كان رأينا بهذه الحرب واضحاً قبل اندلاعها . اننا نريدها حرب استنزاف على الأقل ، ولكن أقدار الجيوش العربية ليست في أيدينا . وليس القرار السياسي بالحرب في أيدينا أيضاً . كنا الشراة . كنا الاعلان والدعوة . ولم تكف عن القول انه لا بد من حرب طويلة . . حرب استنزاف حتى لا نقع في المازق الذي نعيشه هذه الايام .

ولكن حرب تشرين ، بغض النظر عن النتائج العسكرية والسياسية التي أسفرت عنها حتى الآن ، قد خلقت وقائع جديدة في المنطقة لا بد من الاقرار بها لتكون أرضية المناقشة حول تحديات المرحلة القادمة مرتبطة بقاعدة علمية .

اول هذه الوقائع : ان العرب قاتلوا حقا في هذه الحرب ، واستشهدوا دفاعاً عن أوطانهم ، وكسروا الاسطورة القائلة ان المواطن العربي لا يريد القتال ولا يريد أن يدفع من دمه ثمناً لتحرير أرضه . لقد أثبتت حرب تشرين أن الجندي العربي يرغب في القتال ويتحرق الى القرار السياسي الذي يتيح له فرصة القتال واستمراره . لقد زحفت الجيوش العربية في مصر وسوريا في الاساس ، ثم لحقت بها جيوش عربية أخرى قاتلت بصمود وتضحية مؤكدة حقيقة أساسية هي أن الأمة العربية لا تفنقر الى شجاعة القتال